النقد فى العصر الجاهلى

تمهيد :

ولد النقد الأدبى مع مولد الشعر ، ونشأ معه ، وهذا أمر طبيعى ، فإن الشاعر ناقد بطبعه ، يفكر ويقدر ويختار ، ولهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية ، وعلى إدراك أسرار القبح أو الجمال(١) ٠

ومن هنا كان من الصعب أن نحكم حكما موثقا على الصورة الأولى التى نشأ عليها النقد الأدبى ذلك لأنه ارتبط بالشعر فى نشأته ، ومعلوماتنا عن النهج الأول للشعر العربى لا تتجاوز المائة والخمسين عاما التى سبقت ظهور الإسلام (٢) ٠

لكن الذى يمكن أن نؤكده فى هذا المجال اعتمادا على ما قررة أئمة الأدب ، أن أول من وطأ متون الشعر : امرؤالقيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ، يقول الجاحظ :

" أما الشعر ، فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه : امرؤالقيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ٠٠٠٠ ،فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام"(٣) ٠

ويقول ابن سلام : " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل ، قتلته بنوشيبان ، وكان

---

١ – دراسات فى النقد الأدبى د٠ حسن جاد ص ٣٧ ٠

٢ – النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د٠ محمد إبراهيم نصر ص ٢٠ ط دار الفكر العربى

٣ – الحيوان للجاحظ ٣٧/١ ط الساسى ٠

اسم المهلهل عدبا ، وإنما سمى مهلهلا لهلهلته شعره كهلهلة الثوب ،وهو اضطرابه واختلافه.[١]

والشعر العربى لم يبدأ حياته على هذا النظام الكامل الذى وجدناه عليه، وذلك لأن طبيعة الحياة تأبى الطفرة ، ولا تسلم إلا بسنة التطور والارتقاء فمن الطبيعى أن هذا الشعر قطع أحقابا طويلة حتى بلغ هذه الدرجة من النضج والاستواء التى ألفناه عليها ، وكان فى كل خطوة من خطوات تطوره فى سلم الحياة يقف ليرجع بصره فيما أسلف ،ويعد عدته للخطوة المقبلة ، أو الوثبة الجديدة التى سيقوم عليها أودا، أو يصلح بها هوجا ، ثم يجدد فى البناء مفيدا من أخطائه السابقة وتجاربه المتعددة ، وتجارب غيره ممن يزاولون مثل صناعته ،وهو فى كل خطوة ينفى مارآه الناس نقصا ، ويضيف ماعساه أن يستقيم بإضافته البناء الذى بناه [٢].

وحين نضج هذا الشعر ،واكتملت له صورته الفنية ،فتن به العرب فتراووه وتذوقوه،وتغنوا به ، ونظروا فيه تلك النظرة التى تلتئم مع حياتهم وطبيعتهم ،وبعدهم عن أساليب الحضارة . فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا ، واستهجانهم لما استقبحوا فى عبارات موجزة وأحكام سريعة ، إن كانت صحيحة عادلة فكما تمليها الفطرة السليمة ، لا كما يمليها التعمق فى البحث والدراسة والمنطق الذى يعتمد على التحليل والتعليل [٣].

ومن هنا وجد النقد الأدبى فى الجاهلية ، ولكنه وجد هينا يسيرا ملائما لروح العصر، ملائما للشعر العربى نفسه ، فالشعر الجاهلى إحساس محض أو يكاد ، والنقد كذلك ، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر . فالشاعر مهتاج

---

[١] - طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ٣٩/١ .
[٢] - دراسات فى نقد الأدب العربى د.بدوى طبانه ص ٥١ .
[٣] - نفس المرجع ص ٥٣ .